أحمـد بهجـت
(صندوق الدنيا)

* الأدب الساخـر : هو الصـورة المتطورة لأدب الهجاء الذى عرفه العرب فى بداوتهم .. ولهذا الفن تقاليد فى الأدب العربى ، والأدب المصرى على السواء ..

أحمد بهجت

* أحمد شفيق بهجت *

* ولد يوم الاثنين (٧ من شوال عام ١٣٥٠هـ ـ الموافق ١٥ من فبراير سنة ١٩٣٢م) ..

* حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة ..

* عمل صحفياً بجريدة أخبار اليوم سنة (١٩٥٥) ..

* عمل صحفياً بمجلة صباح الخير سنة (١٩٥٧) ..

* عمل صحفياً بجريدة الأهرام سنة (١٩٥٨) ..

* كان رئيساً لتحرير مجلة «الإذاعة والتليفزيون» سنة (١٩٧٦) .. ثم تولى منصب رئيس مجلس إدارتها ..

* كان نائباً لرئيس التحرير للشئون الفنية بجريدة الأهرام منذ سنة (١٩٨٢) ..

* يعمال حالياً نائباً لرئيس تحرير جريدة «الأهرام» وكاتباً ناقداً..

* عضو بنقابة الصحفيين ..

* من مؤلفاته :

١ - «مذكرات زوج» ..

٢ - «مذكرات صائم» ..

٣ - «وجه فى الزحام» ..

٤ - «أنبياء الله» ..

٥ - «قصص الحيوان فى القرآن» ..

٦ - «بحار الحب عند الصوفية» ..

٧ - «تفاحة آدم» ..

٨ - «تأملات ساخرة» ..

٩ - تأملات مسافر» ..

١٠ - «حيوان له تاريخ فى خدمة الأنبياء» ..

١١ - «صندوق الدنيا» ..

١٢ - «تأملات فى عذوبة الكون» ..

١٣ - «فرعون والطغيان السياسى» ..

١٤ - «الله فى العقيدة» ..

١٥ - «مسرور ومقرور» ..

١٦ - «الطريق إلى الله» ..

١٧ - «صائمون والله أعلم» ..

١٨ - «فى رحاب الله» ..

١٩ - «قميص يوسف» ..

٢٠ - «أحسن القصص» ..

٢١ - «كلمتين وبس» ..

٢٢ - «رحلة صيد فى أفريقيا» ..

٢٣ - «يوميات نائم فى البلاج» ..

* * *

* من آثاره :

(تأملات صابونة (*))

وقع الناس فى الأرق والسهاد ، حين شَحّ الصابون فى البلاد .. كما أصاب القَشَفُ وجوه العباد ، بسبب عدم الاستحمام فى الميعاد ..

وقد تكلم فيلسوف الرغاوى «ابن شداد» ، فقال : إن السبب هو التاجر «ابن عماد» ، و زوجتاه «سعاد» و«وداد» ، فقد اشتروا الصابون كله من الجمعية .. وخبئوه فى بيتهم ساعة العصرية ، ومن هنا نشأت الأزمة ، وهى حكاية مفتعلة وبِلا لَزْمَة ..

ولم يُقنع كلام الفيلسوف أحداً ، وذهب فى الهواء بدداً بداً ..

وقد سئلت صابونة غسيل ، من النوع النحيل الطويل ، لماذا اختفت فجأة من السوق ، دون إعلان ، أو تنبيه ، أو بوق ..

*** قالت الصابونة :**

ـ لم آخذ إجازة من زمن ، حتى انهرى كبدى من المِحَنْ .. فلماذا كثرة الكلام والملام ، ولو طلعت أو نزلت فلست سوى صابونة فى حمام .. فلما انتهت الصابونة من كلامها .. وقفت الصودا الكاوية ، وقالت : لقد نبهتك فما ارعويت ، ونصحت لك فما وعيت .. على أنى سأغمس قلمى فى المداد ، وأكتب بدمع الفؤاد ، عن تأملات صابونة لها أمجاد .. لقد تأخرت الشركة فى استيرادى من بلاد بره، فسامحونى فهذه آخر مرة ..

(*) تأملات ساخرة ..

ثم وقف «المستحم بن ليفة» ، وقال كلمة شريفة وعفيفة .. قال فيها : لقد شَحّ الصابون حتى تصورنا أن الجن اختطفته ، أو الأرض اقتطفته .. فما رأى الناس كربة كهذه الكربة ، ولا قاسوا ما قاسوه من غربة .. ثم صرخ «المستحم ابن ليفة» ، قائلاً : إن هذه ليست مسألة لطيفة .. لقد اتسخ الماعون ، وليس هناك صابون ، فما العمل أيها السامعون ؟..

فلما حزب الأمر ، وانقضى من الأيام عمر ، عقد رئيس مجلس إدارة الصابون اجتماعاً جوار الدش ، واندفع الكلام من فمه كالرش ..

قال :

ـ إن أعداءنا كثيرون ، والعواذل لنا كائدون ، ولكننا بإذن الله عائدون ، وعلى البطاقة موجودون ، ولكن لنا فى الأول شرط .. والذى أوله شرط آخره نور ، والنور سرور وحبور ..

*** فلما سئل عن الشرط قال :**

ـ لكل فرد على البطاقة صابونة ميرى ، فإذا أراد أخرى ، سياحية فعليه أن يحضر عرضحالاً يوقعه اثنان من الموظفين ، يثبت فيه أنه لم يستحم منذ سنين ، أو عنده غسيلاً لا يقل ارتفاعه بالسنتيميترات عن ستين .. ويكفى لتسجيل الارتفاع شيخ الحارة ، أو أى خبير ذى مهارة ، فإذا أثبت المواطن ذلك ، انعقدت لجنة فورية من الصابون ، وأفادت بما يمكن أن يكون ..

فلما انتهى الاجتماع ، وقعت مشادة بين صابونتين ، هما الصابونة جيم حداشر ، والصابونة اللوكس ، ويقال إنها ضربتها بالبوكس ، ثم انصرف المجتمعون بشأن الصابون وهم ينشدون : «عائدون عائدون» ..

* * *

(بلاّص المِشْ (*))

يجب على الإنسان بين كل حين ومين أن يقوم بتصحيح مساره الاقتصادى عن طريق تصنيع قِدْرة من المش .. والمش من الأغذية التى حفظت الشعب المصرى من الانقراض وأعانته على البقاء وتكملة مسيرته التاريخية خلال خمسة الجبنة القديمة المحنطة التى تسبح وسط سائل كثيف كان اسمه «الشّرْش» ، وصار اسمه «المِشْ» ..

ويتراوح لونه بين «البِيج» و«البُنّى» .. والمِش من الأطعمة العجيبة التى تتوالد، فإنك تستطيع أخذ مغرفة من قِدْرة مِش قديم .. وتضيف إليها أشياء فتتحول بعد سنة أو سنتين إلى قِدْرة مِش جديد ، لا يلبث أن يتحول إلى قديم ويتوالد هو الآخر ..

وأعجوبة المِش فى التوالد ، والتكاثر ، لا تدانيها إلا عجيبته الثانية فى الأكل..

فى جميع الأطعمة يحب الإنسان أن يقل حجم الخبز ، ويزيد حجم الغموس .. باستثناء المش .. فإنك تستطيع أن تأكل ثلاثة أرغفة من الخبز بنصف ملعقة من المش .. وبهذه الخصيصة يصير «المش» من أعظم الأطعمة الاقتصادية فى العالم ..

وأول «قدرة» من المش فى التاريخ المصرى هى التى صنعها الملك الفرعونى «مينا نارمر» موحد الوجهين وحاكم البرين والبحرين..صنع الملك خميرة من المش، واستعان بلجنة ضَمَّتْ أخطر «الأُروبات» و«القرشانات» المصريات ..

(*) صندوق الدنيا ـ أحمد بهجت ..

ووزعت أجزاء من «خميرة المش» على الأُسَر المثالية فى الشعب المصرى .. فصنعت كل أُسرة قِدْرتها من المش ..

وتوارث الأبناء «خميرة مش الآباء» وأسلموها من بعدهم للأحفاد..

ويصنع «المش» من الجبنة القريش أو الضَّانى .. يُضاف إليه «شِرْش مِش قديم» .. وقليل من المُرْتَة ، أو كثير .. حسب أسرار الصناعة ..

والمُورتة هى بقايا الزبدة إذا ساحت على النار وتصاعدت رائحتها الزكية .. والمورتة هى دموع الزبدة .. وعكارة السمن البلدى الأخضر الزكى الرائحة ..

ويضاف ـ بأسرار مجهولة إلا عند بعض الأسر ـ يضاف قِشْر «اليوسفندى» أو لا يُضاف .. يُضاف «الفلفل الأخضر» أو لا يُضاف ، ثم يوضع المش بعد الخطوة الأولى من تركيبه السرى الغامض .. يوضع فى بلاص من الفخار بعد أن تسد فوهته بالطين والقش ليتنفس ، ثم يوضع البلاص فى مكان مكشوف تشرق عليه الشمس .. وتشرق الشمس كل يوم .. ويدور المش ويدور .. يتنفس ويتحول ويتعتق ويدور .. حتى إذا مَرَّ وقت يعتبره المصريون من الأسرار فتحت قدرة المش وزاولت وجودها فى ملء بطون البؤساء ، لكى يلدوا بؤساء آخرين ..

* * *

(الوصايا العشر للغلاء *)

كيف تقاوم الغلاء بدون عناء ؟ كيف تقهر موجة ارتفاع الأسعار التى يطق منها الشرار .. كيف تدفع ديونك وتكف عن القلق ؟ كيف تكسب التجار وتؤثر فى البائع ؟ كيف تكون سعيداً مبتهجاً مسروراً بأبسط قدر من التعب ؟

إن جواب هذه الأسئلة كلها يكمن فى الوصايا العشر للغلاء .. إذا اتبعت هذه الوصايا .. أفلحت ونجوت وأمنت فنمت .. إليك الوصايا فتأملها بعمق :

١ ـ اغسل يديك قبل الأكل وبعده ..

٢ ـ لا تأكل اللحم مثل «بوذا» ..

٣ ـ ازهد فى الفراخ مثل «غاندى» ..

٤ ـ لا تفكر فى الحمام أو البط مثل «فقراء السيدة» ..

٥ ـ احتقر الديوك الرومى مثل «نساك الهنود» ..

٦ ـ ركز فى الفول ، إنه يلتهم الجوع كالغول ..

٧ ـ تأمل جمال العدس ساعة الغروب اللازوردية ..

٨ ـ لاحظ وداعة البصارة وعلى وجهها البقدونس ..

٩ ـ ضع هَمّك فى الباذنجان .. تأمن شرّ الجنان ..

١٠ ـ لا تنس قِدْرَة المش ..

هذه الوصايا تستند إلى الفلسفة التالية : قل لنفسك ماذا أخذ الذين أكلوا قبلنا أنواع الفراخ والبط والأوز ؟ ماذا كسب الذين أكلوا البتلو اللبانى الصغير ؟ هل تعرف المعدة الفرق بين وِرْك الدجاجة ولقمة الفول المدمس ؟ .. هل تميز المعدة بين صدر البطة وقلب الباذنجانة .. المعدة لا تعرف ولا تميز ..

(*) صندوق الدنيا ـ أحمد بهجت ..

العقل هو الذى يصدر تعليماته إلى المعدة بحب طعام وكراهية طعام .. حاصر عقلك قبل أن يصدر رسائله إلى المعدة .. قل له : إن الزاهد أفضل من المفجوع .. وإن الفول والعدس يلقيان نفس مصير الضانى والكندوز .. ردد هذه العبارة وأنت تأكل الفول :

ـ هذا ديك رومى .. جاء يزورنى متخفيا فى عباءة ذات اللون البنى الغامق» ..

أطلق على الفول اسم تدليل جميل .. لماذا لا تسميه : فيفى مثلاً .. فكر فى اسم تدليل للبصارة .. ابتسم وأنت تأكل ، وتخيل أنك تأكل ما تحب أن تأكله .. ألا تعرف أن كل الطعام هو فى الأصل طاقة قادمة من الشمس ..

اجلس فى الشمس .. وحاول الحصول على طاقة الفراخ والبط والأوز مباشرة من الشمس ..

تصور أن أشعة الشمس بط أثيرى وحمام وفراخ تتسلل من مسام جسدك مباشرة إلى المعدة .. هل شبعت ؟ احبس بكوب من الشاى..

الآن نستطيع أن نقول لك : «هنيئاً ونعيماً» ..

* * *

* من آثاره :

(١٠ وصايا للمشى فى الشوارع (*))

تتغير عادات الإنسان إذا تغيرت ظروف حياته .. ويتغير شكل الإنسان إذا تغير نوع طعامه.. وتتغير مشية الإنسان إذا تغير قلب شارعه .. ويتغير وجه الإنسان إذا لم يغسل وجهه ، وسكان مدينة القاهرة هم سكان أعجب مدينة فى العالم ..

إن المشى فى شوارع القاهرة قد صار فناً قائماً بذاته مثل فن النحت أو الشعر أو المسرح .. وقديماً كان المشى يتكون من تحريك القدمين واليدين بطريقة منتظمة ..

أما اليوم .. فقد تطور المشى تبعا لتطور الشارع ، وصار على الإنسان أن يمشى بالأسلوب البطىء الذى سار به التلاميذ فى مدرسة المشاغبين ، يرفع قدماً ويخفضها فى مكانها .. ويتحرك خطوة إلى الأمام وخطوتين للوراء.. و«الحاجة أُم الاختراع» كما يقولون ٠

والحاجة لهذا المشى قد صارت فرض عين على كل إنسان أن يؤديه .. ولو لم يفعل السائر ، ومشى كما كانوا يسيرون لسقط فى بلاعة أو حفرة أو شَرَك أو مصيدة أو خرم غائر أو مصيبة ..

ونظراً لظروف الشوارع الحالية .. فقد اجتمعت الرءوس المفكرة فى البلدية، وأصدروا الوصايا العشر للمشى فى الشوارع ..

(*) صندوق الدنيا ـ أحمد بهجت ..

* **الوصيـة الأولى** : انظر أمامك ، وتذكر قول الشاعر العربى : «قَدِّرْ لِرِجْلِك قَبْلَ الخَطْوِ موضعها» ..

* **الوصية الثانية** : مُدَّ قدميك أمامك ، وتحسس الأرض برفق . فقد تنهار..

* **الوصية الثالثة** : احمل معك حبلاً وخُطَّافاً ، فقد تقع فى حفرة ..

* **الوصية الرابعة** : التأمين على الحياة يساعدك ، ويساعد أولادك..

* **الوصية الخامسة** : سِرْ ببطء شديد .. « فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة» ..

* **الوصية السادسة** : اكتب وصيتك قبل أن تسير ..

* **الوصية السابعة** : اقرأ الفاتحة ، وبعض قصار السور وأنت تمشى ..

* **الوصية الثامنة** : اجعل معك عصا ؛ لتبحث عن بقايا الرصيف..

* **الوصية التاسعة** : المشى الكثير يفيد المعدة .. ولكن عواقبه غير مضمونة ..

* **الوصية العاشرة** : عُدْ سالماً لأهلك ، ولا تخرج من بيتك إلا فى الشديد القوى ..

هذه هى الوصايا العشر للمشى فى الشوارع، وقد اتفقت آراء الفقهاء من رجال البلدية أن للمشى أخطاره ، ولكن الحياة فى خطر هى صيحة الفيلسوف «نيتشه» .. عيشوا فى خطر .. هكذا قال .. وإذا قال نيتشه فقد قال ذلك؛ لأن الحياة فى الخطر تشحذ الهمم ، وتوقظ الأذهان والذمم ، وتقوى القلب والرئتين ، وتشد المفاصل فتخلعها ..

والحيـاة فى قلب الخطر أفضل من العيش فى ربوع السلامة .. والمثل الجديد يقول :

ـ «إن للمرور السلامة ، وللمشاة الندامة» ..

* * *

(منشور انتخابى لمرشح (*))

أيها الناخبون الأبطال ، إننى أحييكم وأقول لكم .. لقد توكلت على الله ، ورشحت نفسى لخدمتكم .. إذ صعبتم علىَّ لأنكم لا تخدمون أنفسكم ، ولاتعرفون مصلحتكم .. ورأيت أن واجبى يحتم علىَّ لزاماً حزاماً أن أنوب عنكم وأمثلكم .. وأنا ممثل قديم ولكنها الظروف والجوابات .. ومبدئى واضح وهدفى معروف .. ولن أتحدث عن مبادئي وأهدافى لأنها مشهورة ومعروفة ..

ولكى أحدد موقفى أكثر ، فسوف أقول إن مبدئى وهدفى هو مبدؤكم وهدفكم .. أى أننى بلا مبدأ ولا أهداف .. وعدم وجود أهداف أفضل من الهزيمة .. التعادل فى الكرة أفضل من الأهداف .. نستبعد الأهداف لنتحدث قليلاً عما أنوى عمله عندما تعطوننى ثقتكم وأصواتكم ..

وإذا نجحت ، فسوف أضرف لكل واحد من الناخبين صورة عليها توقيعى وقبلاتى .. وربما تقولون ماذا نفعل بالصورة ؟ وسوف أقول لكم إن العين بصيرة واليد قصيرة ، وكل إناء ينضح بما فيه، والجود من الموجود .. لعلكم لاحظتم أن أسلوبى الأدبى هو نفس أسلوبكم .. وهذا شرف كبير أعتز به وإن كنت لاأستفيد منه ..

لو نجحت فسوف أعمل عمايل وأسوى الهوايل ، وأحل جميع المشكلات، وأذيب جميع التناقضات ، وأحيى جميع الإرهاصات ، وأقول للصحف إن «التعلب فات فات،وفى ديله سبع لفات» ..

(*) صندوق الدنيا ..

نعم .. هذا ما سأعمله ، ولن أتحدث أكثر من ذلك ؛ لأننى أُعدُّ لكم مفاجأة ، وهى مفاجأة خطيرة .. ورغم أننى أجاهد لأمسك لسانى فلا أقولها إلا أننى أتوكل على الله وأقولها .. إذا نجحت فى الانتخابات فسوف أطالب بتوفير الخل لجميع المواطنين ، وسأطالب بخفض سعر الخل وإغراق الأسواق به ..

وسأطالب بأن يكون الخل كالماء والهواء مجاناً .. والخل قضية مطروحة وعاجلة .. لأن الفتة لا تصلح بغير الثوم والخل .. فإذا بدأنا بالخل .. فنحن فى طريق طائر البطريق ، وعلى مسار النهار والانبهار .. وسوف أعمل من أجلكم آناء الليل وأطراف النهار ..

وسوف أجاهد فى سبيلكم كما جاهدت بغير استقرار .. لقد كنا نجلس فى مقهى الأحرار ، ونجاهد فى سبيل الثوار ، وكنا ننهزم فى الطاولة فلا نيأس ونقول غداً نكمل المشوار ..

أيها الناخبون الأبطال .. إن الدنيا مليئة بالأرطال والكيلو .. فارفعونى على أكتافكم وشيلو .. ولنهتف معاً .. عاش مرشحنا الوحيد .

* * *

(المقامة المطرية (*))

برقية من البرق السارى لأبعدية عموم الكبارى .. ألف تحية رسمية على العيون الندية ، لقد تم الاتفاق بين السحابة الرمادية والسحابة الوردية ، على إسقاط نصف كوب من المطر بغاية الروية ، على القاهرة مدينة الأحرار والطعمية ، أفيدونا عن موقف الكبارى والبلاعات ، والحوارى والطرقات من جميع المقاسات ، لاتخاذ اللازم من الاحتياطات ..

برقية من مدير أبعدية الكبارى إلى البرق السارى .. إن نصف كوب بحاله من الأمطار لكثير ، بل إنه لأمر عسير ، هذا يعنى أن تنكشف عن الكبارى جميع الأستار ، ويقع فى أسر الوحل كل الأحرار ، وسوف ينشل المرور ويحدث للسيارات استقرار ، فإذا استمرت الأمطار ، فستقول الحكومة : إن هذا من فعل الاستعمار ، وسيقول الناس : إن هذا استحمار .. ومن الصعب تقدير النتائج والأخطار .. ولاسيما أنها من صنع الأقدار ..

نرجو عدم سقوط الأمطار ، لأن الله أمر بالستر وهو الحليم الستار .. إمضاء زهدى السنارى مدير عموم أبعدية الكبارى .. تلكس من البرق السارى إلى السيد زهدى السنارى مدير عموم أبعدية الكبارى : ستسقط الأمطار بغير تردد ، فلا داعى للتماحيك والتودد ..

أفيدونا عن موقف البلاعات فى جميع الكبارى والطرقات .. تلكس من مدير أبعدية الكبارى إلى البرق السارى : ليس فى الكبارى أى بلاعات ألا يمكن

(*) تأملات ساخرة ..

تأجيل المطر لشهر برمهات ؟..

تلكس من البرق السارى إلى مدير أبعدية الكبارى : كيف تقول إنه ليس فى الكبارى أى بلاعات . هل هذا كلام رجالة أم كلام ستات ؟. فلما سقطت الأمطار بانهمار تحولت الكبارى إلى أنهار ، والطرق إلى بحار ، فما أعجب تصاريف الأقدار ..

أما السيد زهدى السنارى ، مدير أبعدية الكبارى ، فقد أصابته آلام قلبية تشبه الذبحة الصدرية .. وتزحلقت رجله فى مصيدة طينية .. فطار فى الشارع وارتطم بعمود نور ، فسقط على وجهه وهو يخور ، فلما سكت السيد زهدى السنارى ، تحرك مدير مكتبه مسموم الهارى ، وبعث بالبيان النهارى التالى إلى الإذاعة المطرية ليذاع البيان ساعة العصرية ..

قال لا فض فوه ، ولا غاب سامعوه .. نحن لا نرهب من برق ورعد ، ولانحفل بمن قام وقعد .. عقولنا منزهة ، وقلوبنا مرفهة .. وهجوم الصحفيين علينا مضيعة للوقت أى مضيعة .. ونحن لا ننكر وجود أمطار موسمية ، ولكننا نؤكد على أهمية وجود قارب وشمسية لعبور الشوارع الطينية .. إلا أن البيان ينكر سقوط أى أمطار ؛ لأن الجو صحو ، وهذه وشاية كاذبة وإصرار .. وصدق الشاعر حين خار :

تَكَنَّفَنِى الواشون من كل جانب ولو كان واش واحد لكفانى

كفانى ياقلب ياكتاكت ياما انت ملآن وساكت ..

* * *

(مذكرات زوج (*))

* «أن يكون الإنسان رصيناً له زوجة وأطفال وعمل وأصدقاء وعادات موروثة وعادات مكتسبة ، شيء لا يمنع أن تكون له مذكرات يخبئها عن زوجته» ..

* * *

* مذكرات ٦ سبتمبر ١٩٦٤ :

عندما يكتب الإنسان مذكراته .. فهذا يعنى أن هناك شيئاً هاماً يريد من الآخرين معرفته ، وأنا لا أصدق هذا الإحساس بالأهمية ، لم يخامرنى هذا الإحساس فى البيت أو فى العمل ، فأنا رجل متزوج فى البيت ، ولى أكثر من رئيس فى العمل ، وأنا لا أشكو شيئاً سوى البلادة والوحدة ، ولقد قررت اليوم أن أكتب مذكراتى .. إن الكتابة عمل مسكر ورائع ، فعندما يكتب المرء يشعر بأنه ليس وحيداً فى هذا العالم ، لكننى لا أكتب لهذا السبب .. إننى أكتب لأننى أحس أن كل إنسان فى العالم قد أضحى جزيرة منفصلة ، ليس بينها وبين الآخرين اتصال ..

هذه المذكرات ليست إلا محاولة يائسة للتلويح والصراخ أمام ما نتصور أنه سفينة مارة ، بينما هو فى حقيقة الأمر سراب مائى .. وسيبقى لنا من الحوار مع السراب صمت عظيم .

(*) مذكرات زوج ..

كيف يحصل الإنسان على الصمت فى مثل هذا البيت ، إن الخادمة تغسل الصحون ، أو بالأحرى تضرب الصحون وهى تغسلها ، وتحدث زوجتى ضجة هائلة تتعلق باكتشاف بقعة من التراب فوق مائدة تقع فى يسار الصالة ، ويزعق أطفالى فى حجرتهم كأن بينهم مباراة فى الصياح ، وتموءالقطط مواء عابثاً ، يبدو أنها تقصد منه أن تتلاءم مع الجو النفسى للبيت ...

هذا الموقف يدفعنى إلى التأمل ...

إن الإنسان يحتاج إلى تأمل حياته بين فترة وأخرى ، ولقد مضت علىّ سبع سنوات وأنا زوج مثالى ، وفى هذه السنوات لا أنكر أننى سألت نفسى أسئلة خبيثة ... مثلاً :

- هل يستحق الزواج بسبب لحظة أن يبقى إلى جانبناكائن من جنس آخر... ومن نفسية أخرى .. وأن يدوم بقاؤه إلى الأبد ، امرأة تعتبر أن من حقها أن تسألك فى أى وقت : فيم تفكر ؟.. ولماذا تسكت ؟.. امرأة تفتش فى أحلامك عن أخطاء تؤكد بها صدق نظرتها فيك ..

كم يكون جميلاً لو يستطيع المرء تحضير الزوجة فى المطبخ ، كما يحضر الحساء حتى يختلف طعمها من وقت لآخر ، هذه الأمنية العبقرية ليست من كتشافى ، إنها مدينة بالوجود لأحد أبطال كاتب روسى ولم يتهمه أحد بالتحيز ضد النساء ..

يعتقد هذا البطل نفسه أن هناك شيئاً مخيفاً ومصطنعاً فى النساء .. إن رغبتهن الطفيلية فى التعلق برجل تكفى لإدانتهن ، ولقد مرت بى تجارب تأكدت بعدها أن المرأة عندما تنظر فى المرآة لا تفعل ذلك لتصلح زينتها ، إنما تفعل ذلك لتتأكد من وجودها ، وتحاول تأكيد هذا الوجود بشتى الطرق ..

لا أتحدث عن كل النساء ، وبالتالى لا أكره زوجتى .. إننى أحب النوع الإنسانى كله بشكل عام ، ويبلغ افتتانى بالنساء حد الدهشة التى أحس بها عندما أرى وجه فتاة لم أره من قبل .. وأنا لا أحاول إخفاء هذه الدهشة عن زوجتى وأنا أسير معها فى الشارع ..

إننى رجل صادق ... إننى أحس ساعتها أن شيئاً يشرق فى داخلى ، وأتأكد

من وجود الحياة فى أماكن أخرى وأرواح أخرى .. إن كلمة الروح تتردد فى الحديث بين زوجتى والخادمة . إن زوجتى تشير إلى أن تصرفات الخادمة ستزهق روحها ، والحقيقة أن زوجتى تبالغ قليلاً مثل أراداً كتَّاب المسرح .. وهى أيضاً مثل كثير من كتَّابه الفاشلين قديرة على خلق أكبر كومة ممكنة من الحوار الذى لا يؤدى إلى شىء ..

وعندما ما تقرر زوجتى إنهاء الحوار تصرخ صرخة قصيرة تشبه صرخات القبائل البدائية التى تهت بها أعداءها قبل الوثوب عليهم ... ثم تأمر بتنظيف البوفيه ، لماذا تزوجت ؟ ..

*** مذكرات ١٣ سبتمبر ١٩٦٤ :**

زمان كانت تجلس أمامى وتستمع ... وكانت تجيد الاستماع .. وكنت أحكى لها مشاكل العمل أحياناً ، وأنا رجل لا أحب كثيرًا أن أكشف كل حياتى فى العمل للآخرين ، فهناك هذه اللحظات التى تكون بين المرء ورئيسه ، والتى يقول فيها الرئيس أشياء كثيرة تتصل بالذكاء والغباء ، وحسن التصرف وسوء التصرف ..

هذه الأشياء لا تُقال للآخرين ، لكنى لم أكن أعتبرها من الآخرين .. وكنت حين أحدثها عن اضطهاد يقع فوق رأسى ، أراها تبتسم ابتسامة واسعة ، وتقشر لى قطعة من الفاكهة ، وتفهمنى أننى يجب أن أحتمل .. فهذه المتاعب نتيجة طبيعية للذكاء الذى ولدت به ، ويجب أن أدفع ضريبة العبقرية المبكرة ..

فما دام الترقى فى هذه المصلحة بالأقدمية فلا شك فى أن رئيسى يضايقه كثيراً وجود أحد العباقرة فى نفس القسم الذى يرأسه .. كانت تضع فى فمى قطعة الفاكهة ، وتبتسم قائلة :

ـــ إن الأذكياء يثيرون المتاعب والشغب دائماً ، ويجب أن تتحمل ؛ إن رئيسك يعتبر نبوغك أحد أخطائك ..

.. وكان تفسيرها يرضينى ويقنعنى ، ويرفع كثيراً من روحى المعنوية .. ولقد فوجئت بعد دخول المصيدة بأن الرقة لم تكن إلا تمثيلاً للرقة ،وأن هذا الفهم العميق الشامل لم يكن إلا ادعاء يفتقر إلى الصحة .

..لا يتبادر إلى الذهن أن اكتشافى قد تم فجأة ، وسطع فى حياتى مثلما تسطع الشمس على السطوح المجاورة ..

أبداً .. لقد حدث هذا بالتدريج .. أغلب الظن أننى لم ألحظه إلا بعد وقت متأخر تماماً .. لاحظت بعد سنوات من الزواج أننى حينما أُحدثها عن متاعب العمل تتبنى وجهة نظر رئيسى فى العمل .. وتدافع عن اتهامه لى بسوء التصرف وتحاول أن تدرس موقفى فى البيت فى ضوء موقفى فى العمل .وتحاول أن تكتشف فىَّ مزيداً من العيوب ..

لماذا تحاول الزوجة أن تعرف كل مواطن الضعف فى زوجها ... هل تفعل ذلك لأنها تعتبر الزواج معركة يجب فيها معرفة ثغرات العدو ؟ . لا أفهم لماذا

يحدث ذلك ؟ ولماذا يتغير كثير من الزوجات بعد الزواج ؟

أفهم طبعاً أن التغير شيء يتفق مع طبيعة الحياة ، وأفهم أنه ما من شيء فى الدنيا إلا يتغير ، حتى الأرض ، تنقص جزءاً من أطرافها كل عام ، لكن الذى لاأفهمه .. أن تتغير مشاعر الإنسان من الرقة إلى الجمود إلى القسوة ..

أحياناً يخيل إلىَّ أن زوجتى مثل زوجة لويس السادس عشر ، أما الصلة بينها وبين زوجة لويس السادس عشر .. فهى تلك القسوة التى تكمن فى الضعف ، وعدم الفهم الذى هو صفة مشتركة بين النساء .. معظم النساء ..

إن « مارى انطوانيت » حينما أطلت على مظاهرة من الجائعات من مخبئها فى القصر وسألت عما يريدونه .. وقيل لها : « **إنهن يطالبن باالخبز** » ..

واقترحت هى أن يأكلن « الجاتوه » .. لم تكن قاسية ، كانت غبية .. ببساطة لم تكن تقدر الوضع على حقيقته .. إن تقدير الأمور صفة من صفات الرجولة والمسئولية .. ما هو السر فى أننى لا يمكن أن أتعرض لخطأ يمكن إثباته علىَّ فى العمل ..

ببساطة .. لأن هناك مائة مسئول فى المصلحة التى أعمل بها ، ولكى أوقع أنا ورقة فى العمل .. يجب أن أقرأ توقيعات ثلاثة من رؤسائى المباشرين على الورقة .. أنا إذن لا أتخذ قرارات فى عملى ...

وهذا سر فوضى العمل واضطرابه ، وتحاول زوجتى إيهامى بأن هذا هو أفضل شيء يصنعونه معى فى العمل ، هذا يضمن سير العمل وهدوءه كما تقول ، ومن الأولى بى فى البيت أن أتصرف مثلما أفعل فى العمل ... أترك كل شيء لها .. تتخذ هى القرارات وأتحمل أنا المسؤلية .. وأنا أرفض هذا فى البيت كما أرفضه فى العمل ..

وأحياناً أختلى بنفسى مثلما أفعل الآن ، وأفكر فى رئيسى المباشر وزوجتى .. فى السلطتين اللتين تسير حياتى بينهما كقطار يسير فوق قضيبين من الحديد .. إن رئيسى فى العمل وزوجتى عندما يحاولان قتل ذبابة يفكران فى ضربها بقنبلة .. أليس هذا مخيفاً ..

إن أبسط الأشياء تحتاج منها إلى ضجيج هائل يشبه دوى القنبلة.. وهكذا ترون تعاستى .. أسمع صوتها يقترب ..

* * *